المنهجية الصحيحة للعمل السياسي والديمقراطي

أحمد محمد الحربي

■ التعددية الحزبية كمون العمل السياسي.. والرأي والرأي الآخر ملح الحياة الديمقراطية، قد يكون هذا تعبيرا عن الحد الأدنى لوجود التفاعلات الحية في خيار التحديث النهضوي ، لكن ان يكون في المجتمع الواحد.. قوى التحديث فيه لاتتعدى أحادي الارقام الأولى في الحساب البدئي.. ويتجاوز عدد الاحزاب أحادي الاعداد وصولا إلى العشرات.. فأي رائحة لهذا الكمون السياسي في العمل.. ولأن الرأي والرأي الآخر هو تعبير واضح عن مكونات القوى الاجتماعية في المجتمع واعتمالها في الحياة الديمقراطية التي تتجاوز الجانب السياسي، لتصب في عمق المتطلبات الحياتية ، الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية بمرتكزاتها، واتجاهات وعائدات ثمارها.. ومدى قدرتها وكفاءتها وكفايتها على تلبية متطلبات الناس المعيشية.. بعيدا عن الرأي القائل «مصالح الناس غاية لاتدرك». أو «حاجاتهم غايات لاتشبع» ، فهي واسعة كسعة بطن السائل امور مشكوك بها أمام عمق الابحاث وجديتها وإبداعات الانسان ومخترعاته . ومنجزات العلم وتكنولوجياته.

فالحقيقة نسبية، كما ان الحرية مقيدة وإلا أصبحت اعتمالات الحياة فوضى لايحكمها ناموس ما.. والديمقراطية المحكومة بمبدأ احترام الرأي والرأي الآخر لاينبغي استخدامها لتبرير العبث الطفولي أو براءته ولا لسطوة القوة وشطحات الغطرسة والتعالي والعجرفة.. ولا تخريفات الشيخوخة وعجزها قد تكون لها أسس وقواعد عامة محكومة بها..

لكنها لاتعد نموذجا واحدا ينبغي تطبيقه على جميع الاجناس والقوميات والمجتمعات وإلا فلا ديمقراطية .. ولاتخص فئة اجتماعية بذاتها ولذاتها وإلا قيل عنها بأنها تعبير عن ديكتاتورية فئة أو طبقة.. العالم يموج بالعديد من النماذج الديمقراطية ذات الخصوصية القومية والمحلية مثل .. ديمقراطية رئاسية وديمقراطية برلمانية.. ديمقراطية ملكية وأخرى امبراطورية، ديمقراطية مركزية واخرى لامركزية، ديمقراطية التمثيل الفردي واخرى معتمدة على التمثيل النسبي، ديمقراطية اختزال المسؤولية وأخرى أشاعتها ديمقراطية الاغلبية واحترام رأي الاقلية، ديمقراطية المشاركة ديمقراطية الشفافية واخرى لها اسنان حادة واسوأ الديمقراطيات عدم ممارستها كما قال الاخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية .. كما ان هناك اشكالاً اخرى للديمقراطية مثل ديمقراطية الدولة.. ودولة الديمقراطية.. ديمقراطية التسيير الذاتي، وديمقراطية التعيين، ديمقراطية المجالسة، المطالبة بزوال الدولة.. وديمقراطية تقوية الدولة.. في المحصلة النهائية هناك اكثر من طريق للديمقراطية واهم ما فهيا الانفاق على هذه الطريقة أو تلك وآلياتها بين القوى، أو الاطراف المعنية وليس هناك أوصياء على الديمقراطية اسلوبا وطريقا وممارسة.

> **هناك اشكالاً اخرى للديمقراطية مثل ديمقراطية الدولة.. ودولة الديمقراطية.. ديمقراطية التسيير الذاتي، وديمقراطية التعيين، ديمقراطية المجالسة، المطالبة بزوال الدولة.. وديمقراطية تقوية الدولة.. في المحصلة النهائية هناك اكثر من طريق للديمقراطية واهم ما فهيا الانفاق على هذه الطريقة أو تلك وآلياتها بين القوى، أو الاطراف المعنية**

إن الجذر الاجتماعي للقوى الاجتماعية في حراكها الثقافي يدفع باتجاه الأستجابة والرضا لمبادئ القيم النبيلة والانجازات ذات الصلة بحاجات الناس ويتنامى الاعجاب بالانتاج وكفاءة الخدمة المقدمة للسكان .. وتبدو علامات عدم الارتياح إلى بعض الثقافات المغايرة لما اعتدنا عليه إلا ان عدم الارتياح يتحول إلى رضى وثقة عندما تكون النتائج محسوسة، وملموسة .. لكن عندما يتراجع عدد الابطال الشعبيين في الابداع، والانتاج وتصبح الثقة بالجهاز الاداري محل سؤال صعودا نحو الاهتزاز وتنخفض انتاجية العمل وتختل هياكل البناء الاقتصادي ويتعرض البناء الاجتماعي لعدم التوازن في القيم والعلاقات.. وتبدأ ملامح السخط الشعبي على الحكومة بالظهور، والتزايد.. وتبرز بعض الأزمات الخاصة بالثقة.. يعبر عنها المسئولون الرسميون والمنتخبون على السواء بالقول: ان انتهاكات للقوانين والنظم حاصلة.. وحقوق الغالبية من السكان منقوصة، كنقص المياه، وتلوث الهواء.. وقصور الخدمات الصحية، وتراجع التأهيل، والتحصيل التربوي والعلمي..

إن وقائع كهذه وغيرها من الأزمات التي ترهق الأعصاب لا تؤدي إلا إلى تشكك وارتياب بعض المواطنين في مدى كفاءة وشرعية أنشطة الحكومة و مؤسساتها.. وتطغى السلبيات على أية منجزات إيجابية.. وأصبح النقد اللاذع للإدارة وسلوكياتها مسألة عادية والكشف عن مواقع الفساد، ومنابعه بمثابة التغني بالأمجاد الوطنية.. واعتاد الناس في ميدان الإدارة العامة سماع الكثير من القصص المفزعة، فلا يجدون بالرد عليها سوى عبارة وماذا بعد؟ وكأنهم بانتظار المزيد من تلك القصص ليضربوا كفاً بكف.. لقد فاتنا القطار.. ولم يعد يجدي الندم، من منّا لم يسمع حديث المنجزات المتصاعدة.. مدارس بالعشرات، ومراكز وعيادات صحية تكاد تفوق عدد المدارس التي تم بناؤها.. وأن الحواجز المائية التي هي مطلب الناس أجمعين من أجل تغذية المياه الجوفية، التي أصبحت تستنزف بطرق وأساليب تنذر بمخاطر وعواقب جمة وهناك الكثير من مظاهر السلبية في الميدان العملي..

كل هذه الوقائع هي نتاج طبيعي لضعف التخطيط، أو انعدامه في إداراتنا، ومؤسساتنا، ولغياب التنسيق بين الأجهزة وانعدام الرقابة والتقويم والمتابعة وإهمال المساءلة والمحاسبة، وانشغال المسئولين والمشرفين بأمور خارج نطاق واجباتهم، ومسئولياتهم، مشغولين جميعاً بهمومهم الشخصية، وبالمكالمات الهاتفية وكل وقتهم ينفقونه في متابعة الأحداث اليومية وكأن أزمات الآخرين لا تعنيهم.. فما السبيل لمعالجة هكذا إهمال؟!

سلبيات اجتماعات المسؤولين في أوقات الدوام

عبدالله الشهاري

● وكيف يكون الحل إذا كانت الاجتماعات قد أصبحت مرضاً مستعصياً لدى بعض المسؤولين في الوزارات والمصالح، هل يظل ذوو القضايا على أبوابهم شهوراً، حتى يجدوا فرصة لطرحها عليهم؟ أم ينتظرون بشكل ملفت على أبواب بيوتهم ليقولوا لهم: نحن لانقبل طرح قضايا إلا في مكاتب العمل المحصورة والمقصورة على الاجتماعات ليس إلا؟

ولكم فاجأت مسؤولاً، لا لحل قضية، وإنما لأرى أي اجتماعات تلك،فإذا بسعادة البيه يخوض في حديث مع اثنين من أصدقائه مشكلة الأمن اللبناني بعد انسحاب الدعم السوري لهذا الأمن، ومن سيقوم بدور سوريا إذا كان هناك من يتربص بالأمن والاستقرار العربي بأسره!!

ولقد راقني تناول قضية عربية تمثل واحدة من الشرارات في الهشيم العربي الراهن، ولكن مكان تناولها ليس في الدوائر الخاصة بإنجاز قضايا المواطنين والمعاملات الأخرى، ففي جلسات المقيل الشعبية مجال للخوض في مثل قضية لبنان وإصرار القمم العربية على سلام عادل ترفضه الصهيونية ووكرها الرئيسي جملة وتفصيلاً، فكم غالب يفتقر إلى الضمير الإنساني لاينصاع للطروحات العادلة من مغلوب منصف في مطلبه، باعتبار القوة المتفوقة هي الحكم العدل وليذهب العدل الإنساني إلى سواء الجحيم، سيما وأن حضارة اليوم تعني ارتكاب أفدح الأخطاء تحت ستار شعاراتها المزقة كثوب هزيل أو قديم النسج، بالكاد يشبه نسج العنكبوت، خاصة وأن مجلس الأمن الدولي لم يعد يضمن أمن عصفور في وكره إذا كان يطير خارج المتاح له من الأجواء التي تروق رغبة الغالب ضد المغلوب، وللحديث شجون يطول شرحها على أساليب الاختصار، وللغرض الذي جرني للتعرف على دواعي الاجتماعات المثيرة غضب ذوي القضايا، فقد قاطعت الحديث ملفتاً إلى أن اجتماعات كهذه تعني التهرب عن حل تلك القضايا أو العجز عن حلها، يفسره الآخرون على أنه تلاعب أو عدم مراعاة لظروف ذوي القضايا المرتبطة بتلك الجهة الرسمية أو تلك، فأي ضمير يسمح بالتطرق إلى قضايا عربية عامة بينما موقع عمله يستدعي الاقتصار على إنجاز ما أنيط به، ولذلك يتسلم مقابلاً شهرياً وسيارة فارهة تستبدل كل عام، كما لو كان من أصحاب الثروات الطائلة أو الدخل الخيالي مما يستدعي البذخ المفرط، لذلك نخشى أن يصل الترف إلى اقتناء سيارة صيفية وأخرى شتوية إيغاراً لصدور من يكدحون لتأمين لقمة العيش ليل نهار، أو أنهم لايدركون ماحولهم عن عمد أو بدون، فالمطلوب من المترفين التقشف الوطني احتراماً لظروف الغير، وأعني بالتقشف في الكماليات وعلى رأسها التهرب عن حل القضايا أو عدم المبالاة بها عن طريق ادعاءات الاجتماعات الجوفاء كالسابق ذكرها، بينما هي من اختصاص ذوي الاختصاص، ولكن أسفت أن صديقاً مسؤولاً بدأ الإدمان على اجتماعات لامسوغ لها وكأنها موضة من موضات العمل لابد منها وإن كانت توصف بالعبثية في حقيقتها، بينما لاتكون الاجتماعات إلا لأمر هام يستدعي تبادل الرأي حول البت فيه بأسلوب منطقي وصائب، وما عدا ذلك فغير جائز التذرع به لعقد اجتماعات يتمخض عنها إحباط المعاملات وحل قضايا ذوي القضايا، ولا ألوم الضائقين بهذه الاجتماعات ذرعاً، ففي الماضي البائد وبصورة اضطرارية لجأت إلى مسؤولين في منتهى العنجهية ووقفت على أبوابهم ذليلاً مهاناً، وهم كما قال شاعر غاضب آنذاك:

تطاولوا تكبراً
وهم أناس نكره

وكلما سألت الحارس عن سيده يقول لي: سيدي مشغولين، أو مولانا راقدين، فأكاد أتمزق مرارة وغيضاً، وقد تعرضت لذكر مثل هذه العنجهية المقرفة في أحاديث سابقة حيث أحدثت في قلبي جرحاً لايندمل بالتقادم.

حول تطوير الأمم المتحدة

محمد سيد أحمد

□ .. اقترح كوفي عنان أمين عام الامم المتحدة، يوم ٢٠ مارس الماضي إدخال تعديلات جسيمة على بنية المنظمة الدولية حتى تصبح أكثر ملاءمة للأوضاع الدولية الراهنة.. لقد سربت أفكار عن هذه التعديلات إلى صحيفتي الواشنطن بوست ولوس انجلوس تايمز الامريكيتين.. وقد أثارت الاصلاحات المقترحة شهية الدول الراغبة في مقاعد دائمة بمجلس الأمن.

.. المتوقع أن مجموعة من دول ست هي ألمانيا، واليابان، ومصر، والهند، والبرازيل ـ يضاف إليها اما نيجيريا وأما جنوب افريقيا ـ قد أصبحت بمثابة الدينامو الذي بيده تحريك التغيير.. وهذه حقيقة ينبغي أن تدركها الاطراف العربية.

ثم كان هناك عامل عارض أقنع عنان بتحريك العملية في الظرف الراهن تحديداً، هو إحساس الأمين العام بأن الامم المتحدة بحاجة إلى عمليات شفافية وتطهير تعيد إليها المصداقية والثقة، بعد ان كشفت مخالفات تعلقت بوقائع فساد كشفت عنها ادارة مشروع الغذاء نظير النفط الخاص بالعراق.. كما برزت حاجة لإعادة بناء لجنة الحقوق المدنية ذات السمعة السيئة، وكذلك تبني تعريف للارهاب، ازالة لأي لبس يحجب تمييزه عن حركات التحرر الوطني.

إصلاح مجلس الأمن

يقوم اقتراح كوفي عنان على اجتهاد يستهدف إنشاء تشكيل لمجلس الأمن أكثر تعبيرا عن معطيات العالم كما هي قائمة الآن.. فلا يعقل اعتبار ألمانيا واليابان دولتين مهزومتين كما كانتا في ١٩٤٥ وقت صياغة الميثاق.. ولا يمكن التعامل مع روسيا بصفتها الدولة السوفييتية ذات الايديولوجية المناقضة على طول الخط لتلك التي تتبناها الدول الغربية الكبرى.. ومن هنا سقطت الحاجة الملحة لاعتبار العداء بين الشرق والغرب هو العداء الأجدر باحتلال موقع الأولوية.. وحل العداء بين الشمال والجنوب محله.. وكانت العملية الإرهابية المروعة التي ارتكبت في أمريكا يوم ١١ سبتمبر٢٠٠١ التعبير الناطق عن هذا التغيير.. كذلك، لم تعد هناك حاجة لتصنيف الدول بمقتضى موقعها الجغرافي على خريطة الكوكب.. فلم تعد أية دولة مؤمنة ضد الارهاب، والكل معرض للخطر ذاته.. واعتبر أنه قد أصبح أكثر ملاءمة ان تصدر قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة بثلثي أصوات أعضائها ـ البالغ عددهم ١٩١ عضوا ـ على ان يصدر قرار بصدد تشكيل المجلس الجديد قبل سبتمبر القادم.. مع تحاشي ان يكون الاخفاق مبررا للتأجيل.. ومشيرا إلى اجتماع رؤساء الدول والحكومات المقرر ان يبدأ في الدورة القادمة للجمعية العامة..

أن مجلس الأمن يتشكل الآن من ٥ دول ذات العضوية الدائمة، وتملك حق الفيتو.. ومن ١٠ دول منتخبة لمدة سنتين، ولا تملك حق الفيتو.. وأبرز التعديلات المقترحة هو إضافة ٦ دول دائمة العضوية، فضلا عن ٦ دول جدد منتخبة لمدة دورتين.. وهكذا يصبح الأعضاء الدائمو العضوية ٥ + ٦ = ١١ عضوا، والاعضاء غير الدائمين ١٠+٦= ١٦ عضوا.. ولم يتقرر ان يكون لاي عضو جديد حق الفيتو، كما لم يتقرر ان يسحب هذا الحق من أي عضو قديم يملكه..

دينامو العملية

إن عنان يراهن على أن دينامو العملية، أي العامل المحرك للتغيير، هو مجموعة الـ ٦ ألمانيا واليابان ومصر والهند والبرازيل، واما نيجيريا أو جنوب افريقيا.. بل وأية دولة تسعى إلى الالتحاق بهذه المجموعة إن استطاعت.. أو ان يتقرر لها هي أيضا ـ إثر مساومات ـ الحصول على الفيتو وليس مجرد المشاركة في مجلس الأمن بصفة دائمة.. ومن جانب آخر، فثمة عوامل قد تكون معوقة لانجاز العملية، كمواقف تصدر مثلا من دولة أو أكثر من الدول الخمس القدامى صاحبة حق الفيتو، وربما أيضا من دول ترى أنها تستحق ان تكون في المجموعة الثانية، لا ان تظل في الثالثة.. وهكذا قد تبرز خريطة جديدة ـ أكثر تعقيدا ـ للمواجهات والتحالفات..

ان العملية تقوية بالذات لدول نامية ذات تعداد بشري ضخم مثل الهند والصين.. في مواجهة الشمال الراهن، وأيضا الجنوب الراهن.. وربما أيضا في مواجهة خريطة أمريكا المكتسحة على صعيد العالم بأسره.. تناقض

ثمة تناقض لا يحتمل الإغفال، هل هو ظاهري فقط؟ .. اذ ثمة ضغط من قبل المؤسسات الحاكمة في أمريكا باسم الديمقراطية من جانب، ومن شتى حركات المعارضة في الداخل، أيضا باسم الديمقراطية، من الجانب الآخر..

ومن الاستحالة بالتالي وقف المد الديمقراطي عموما.. ولكن جدلية العلاقة بين النوعين من العمل المنسوب إلى الديمقراطية هي العنصر الجدير بنا تأمله بوجه خاص.. هل يتحالف وجها ماأسميناه الديمقراطية ضد الانظمة المعادية للديمقراطية؟.. هل هذا هو المقصود بالأولوية المعطاة لشعار رفض استيراد الديمقراطية من الخارج؟.. وان الأولوية ينبغي ان تكون لديمقراطية منبثقة من تقاليد شعوبنا؟.. هل الحرص على الديمقراطية ينبغي ان يكون البديل عن السيادة الوطنية؟ هل هي التبرير لاسقاط الشرعية المكتسبة بفضل نيل الاستقلال؟.. أم هي ظاهرة موضوعية تعلو الاخطاء التي ترتكب باسمها؟.. إن الحلم الامريكي في ما يتعلق بالشرق الأوسط هو دمج نوعي للديمقراطية!.. هذا هو المعنى المطلوب تحقيقه بالتغلب على الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وتحقيق ما هو موصوف بالسلام في الشرق الاوسط.. ان السبيل لفرض هذا الدمج هو نسبة صفة الارهاب إلى الانظمة العربية والإسلامية التي تعارض السلام الامريكي، وحتى الاسرائيلي.. والنظر إلى الديمقراطية الامريكية على أنها الوحيدة السليمة، الوارد التمسك بها.. أين هذا المفهوم للديمقراطية مما هو مطروح في مشروع كوفي عنان؟..

تعريف الإرهاب

عرف عنان الارهاب بأنه تصرف يستهدف القتل، أو إلحاق ضرر جسيم بمدنيين أو بغير محاربين.. بغرض بث الرعب لدى الحكومات، أو لدى المؤسسات الدولية، أو لدى الناس عموما.. والجدير بالملاحظة أن الارهاب ظل مستعصي التعريف منذ صدور ميثاق الامم المتحدة، وحتى صياغة التعريف المذكور أعلاه، بسبب ان الجانب المنتصر في الحرب كان الحلفاء، الذين تعرضوا لغزو دول المحور (المانيا واليابان بالذات).. أي الدول التي احتلت اراضي دول غيرها.. وفي ضوء أن مشكلة الحرب عموما باتت مشكلة رد العدوان النازي، فأصبحت الجريمة التي سبقت كل جريمة أخرى هي جريمة الاحتلال، وأصبحت مقاومة الاحتلال والدفاع عن السيادة الوطنية، بكل الطرق المتاحة (حتى طريق الكفاح المسلح)، أمرا له أسبقية على كل اعتبار آخر..

غير ان ظروف ما بعد الحرب شهدت صعود عدو من نوع مختلف.. أصبح العدو الرئيسي في نظر الغرب الشيوعية وحركات التحرر الوطني.. واعتبر الغرب الكفاح المسلح أمرا لا يجوز إضفاء صفة المشروعية عليه.

خاصة اذا مست المقاومة مدنيين وغير محاربين.. فهل يمكن اعتبار تعريف عنان هو التعريف الملائم لمواجهة مشكلات الساعة؟.. يقول عنان إن علينا إقناع كل الذين يغريهم أن يؤيدوا الارهاب أنه ليس نهجا مقبولا ولاهو فعال لتعزيز وجهة نظرهم.. إن تقرير عنان ينتهج سياسة اللاتسامح، إزاء الاخطاء عموما وبالذات إزاء الجرائم الجنسية.. إن ارتكاب مثل هذه الافعال قد اغضبه كثيرا.. وقد طلب اعادة النظر في ملف كل موظفي الامم المتحدة.. أكد أنه لا ينبغي الاساءة إلى وظائف الأمم المتحدة بدعوى حفظ الأمن والتنمية.. إن مبادرة عنان متعلقة بالدفاع عن سمعته، ومأأصابها من تدهور في نظر الكونجرس وفي الدوائر الحاكمة الامريكية، بينما ما زال يحتفظ بصيته في المحافل الدولية.. لقد أعطى عنان المواجهة بين الشمال والجنوب الأولوية على المواجهة بين الشرق والغرب.. وبالذات إغراء الانتقال من الجنوب إلى الشمال.. إن ديمقراطية كوفي عنان هي مخاطبة الوسط على الصعيد العالمي.. هذا هو المقصود بالاعتدال.. وإسكات التطرف، والثورة، التي أصبحت توصف بالارهاب.. عن طريق تنمية قوى وسطية، معتدلة، على حساب المجتمع الدولي عموما!!

هذا هو الحل الوسط التاريخي الذي يقترحه عنان.. هل هو قابل للتنفيذ في عالم أحادي القطبية تحت هيمنة الولايات المتحدة؟.. هذا أيضا من أسئلة الساعة..

● كاتب عربي

أفاق

زلزال عصبي..!!

فضل النقيب

□ من العراق إلى السودان، مروراً بدمشق وبيروت والقاهرة، تعيش المنطقة العربية حالة عصبية شديدة التوتر، الأمر الذي يؤثر على مراكز التفكير واتخاذ القرارات في ظل «فوبيا» مجلس الأمن الدولي الذي جرى تفعيله كما لم يحصل في تاريخ الأمم المتحدة وقبلها عصبة الأمم، وبالدور – يا عيني – كابراً إثر كابر، وإن منكم إلاَّ واردها، مما يعيد تذكير الحزينة البكاء، وما كان رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو برلسكوني، الذي أغضبنا كثيراً، ينطق عن الهوى، حيث قال ذات يوم قريب : «إن على الدول العربية أن تخرج من العصور الوسطى، حيث الحكم المطلق وعدم حرية المرأة وضياع الكرامة، ولابد للعرب أن يتخلّوا عن أشكال من الحكومات التي لا تتسم بأي نوع من الديمقراطية».

كلام لطيف، مع الاعتذار لأصحاب الجلود الحساسة الناعمة المدبوغة جيداً، التي لا تحتمل نسمة الهواء، لأنها تقرأ ما بين السطور على طريقة «الحرامي على رأسه ريشة»، ونحن نقول صديقك من صدَقك لا من صدَّقك :

وعيناك إن أبدت إليك معايباً
لقوم فقل يا عين للناس أعين

وكفانا سياسة النعامة البائسة، تدفن رأسها في الرمال وعورتها بادية أمام الله وخلقه، وفي التقدير أن هذه الزلازل التي تحيط بنا من كل جانب ستكون في المحصلة الأخيرة لصالح إعادة بعث هذه الأمة العريقة، فخبث الحديد لا تستصفيه سوى النار الموقدة، «التي تطّلع على الأفئدة»، ورحم الله الشافعي القائل :

أرى حُمُراً ترعى وتعلف ما تهوى
وأسْداً جياعاً تظمأ الدهر لا تروى
وأشراف قوم لا ينالون قُوتهم
وقوماً لئاماً تأكل المنّ والسلوى

فالذي ينخر النظام العربي أمران أساسيان هما : غياب المساواة، وتلاشي العدالة، فإذا صلحا صلح الجسد كله، شأن عمر – رضي الله عنه – الذي قيل فيه : عدلت، فأمنت، فنمت.

الحالة العصبية التي ألمحنا إليها في المطلع تدفع إلى التردي والوسواس القهري وإلى النكوص إلى درجة التلاشي ثم الكر إلى درجة التهور، علماً أن الفضيلة هي وسط بين نقيضين، وإلاَّ فما شأن تعليق السودان لتنفيذ اتفاقية السلام بالجنوب رداً على قرار مجلس الأمن الدولي إحالة عشرات المسؤولين السودانيين إلى محكمة لاهاي في جرائم دارفور؟ لماذا هذه المقايضة التي لن تتم أبداً؟ ولماذا تبدو المسائل الوطنية الكبرى، التي بُذلت الجهود المضنية لحلها وقبلها الدماء الغزيرة، وكأنها ورقة للعب السياسي تعصف بها الريح في أول اختبار؟ أين تجد المصداقية بعد ذلك مكاناً لها في أي اتفاق، لأن معنى ذلك أن النوايا لم تكن صادقة، وأن ما يتم التنازل عنه هو لجبر النظام وليس لخلاص الوطن؟ وإذا كان هناك مجرمو حرب حقيقيون فلماذا التغطية عليهم؟

أسئلة كثيرة في زمن عصبي ليس أقرب إلى التقوى، وإنما هو زمن بلوى.

في لبنان تصرُّ الموالاة على عمر كرامي، الذي يقول إنه غير قادر وغير راغب، اعتقوه يا إخوان لوجه الله، فأنتم بحاجة إلى الحلحلة لا إلى التعقيد، والحلحلة بناء، فيما التعقيد هدم، وشتان ما بينهما، وحتى سوريا نفسها لم تعد بحاجة لا إلى الموالاة ولا إلى المعارضة، وإنما إلى إجماع وطني سليم، علماً أن زلزال اغتيال رفيق الحريري لا يمكن أن يقيَّد ضد مجهول ويغلق ملف دون رد فعل مضاد له في الاتجاه ومساو له في القول، ويكفي النظر في عيني بهية الحريري، خنساء العصر، حيث تتجسد الفاجعة والعزيمة معاً، وكأنها تخاطب أخاها الراحل :

ولو أني غمضتُ عليك عيني
إلى يوم القيامة ما كفاني

خدمات صحية ضرورية

عبدالله البحري

■ عندما يتوجه المرء منا قاصداً أي بلد من بلدان العالم سواءً كان هذا البلد عربياً أو آسيوياً أو غربياً فإنه وبمجرد وصوله إلى المطار أو الميناء البحري أو البري لا بد وأن يخضع للعديد من الإجراءات المعهودة سيما منها الإجراءات الصحية والمتمثلة في إخضاع كافة القادمين إلى هذه البلدان لمجمل الفحوصات الطبية كأخذ عينات الدم ونحوها من الاختبارات الأخرى ذات العلاقة بالجانب الصحي وما يتبعها من تدقيق صارم كجزء من معظم الإجراءات الروتينية اللازمة وبالطرق والوسائل المتقدمة والحديثة والتي قد لا يشعر بأثقالها الواصلين عبر تلك الموانئ المختلفة والتابعة لتلك البلدان، وليس كل ذلك من قبيل الظن بأحد الواصلين ولكنه بات أمراً معهوداً ومعمماً لدى غير بلد إضافة إلى كونها خدمات تعود فائدتها على الوافد ومن ثم على شعوب ومواطني تلك البلدان..!

إن موانئنا المختلفة بحاجة إلى إعادة نظر بالنسبة لهذا الجانب الهام والحيوي والذي أعتبره بمثابة صمام أمان وأقصد أنه بات من المسلم به وضع خطة متكاملة تخدم هذا الجانب ومن خلال نشر مراكز صحية بغرض مراقبة وتفعيل كافة الإجراءات المعمول بها في دول شقيقة وصديقة ، ومثل هذه الإجراءات لا ريب ستسهم في الحد من دخول بعض الأمراض العصرية والتي أصبحت تغزو غير مجتمع ووطن ومنها بلادنا، ولعل الوسائل والامكانيات التي تسخرها الدولة والحكومة ممثلة في وزارة الصحة العامة والسكان قد صارت وبحمدالله مغطية لربوع البلاد ويستفيد من خدماتها المتعددة السواد الأعظم من سكان اليمن ونتمنى في القريب العاجل رؤية مكاتب أو مراكز طبية ذات مهام رقابية عند مداخل موانئ البلاد من شأنها القيام بتدقيق وفحص القادمين عبرها ودونما استثناء مع فرض رسوم رمزية تعود لصالح تلك المراكز الصحية وتطوير آلياتها كسواها من المراكز المنتشرة في كافة مطارات ومنافذ بلدان العالم، وبتصوري الشخصي أن مثل هذه المهام من واجبات الوزارة المعنية والتي – لا ريب من أنها تدرك وتعي أكثر منا ضرورة تفعيل هذه الإجراءات ولما لها من إيجابيات وفوائد عديدة ووقائية وسنلمس خيراتها عموماً ومن خلال درء أخطار تلك الأمراض الخطيرة والدخيلة على مجتمعنا والذي ندعو الله عز وجل بأن يجنب وطننا وأمتنا كل مكروه وشر إنه سميع مجيب..